

(٥٤)

باب لا يرد من سأل بالله

قال المحقق رحمه الله تعالى: (باب لا يرد من سأل بالله .

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»^(١). رواه أبو داود، والنسائي بسند صحيح).

لشئ: ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله . لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل بحسب ما ورد في الكتاب والسنة، فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق كبيت المال أن يجاب فيعطى منه على قدر حاجته وما يستحقه وجوباً، وكذلك إذا سأل المحتاج من في ماله فضل فيجب أن يعطيه على حسب حاله ومسالته .

وأما إذا سأل من لا فضل عنده، فيستحب أن يعطيه على قدر حال المستول ما لا يضر به ولا يضر عائلته، وإن كان مضطراً وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته .

ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود وضدهما من البخل والشح . فالأول: محمود في الكتاب والسنة . والثاني: مذموم فيهما .

وقد حث الله تعالى عباده على الإنفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه . قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِإِخْذِيذٍ إِلَّا أَنْ تَنْفِقُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨] وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّطِينَ فِيهِ﴾ [العنكبوت: ٧] وذلك الإنفاق من خصال البر المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ فَقَلَّ الْمَشْرِيقُ وَالْمَغْرِبُ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالسَّبِيلَ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُرُوءَاتِ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُرْسَاءِ وَحِينَ

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الزكاة، باب: عطية من سأل بالله، حديث (١٦٧٢)، والنسائي، حديث (٢٥٦٧)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٦٠٢١)، صحيح الترغيب (٨٥٢)، الصحيحة (٢٥٤).

أَتَأْتِيهِمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ .

فذكره بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة . ذلك - والله أعلم - لتعدي نفعه .

وذكره تعالى في الأعمال التي أمر الله بها عباده . وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء . نصحا للأمة وحثا لهم على ما ينفعهم عاجلاً وآجلاً .

وقد أثنى الله سبحانه على الأنصار رضي الله عنهم بالإيثار ، فقال تعالى : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١﴾ [الحشر : ٩] والإيثار من أفضل خصال المؤمن كما تفيد هذه الآية الكريمة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَيُطِيعُونَ أَمْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٨٠-٩٠] .

والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جداً ، ومن كان سعيه للدار الآخرة رغب في هذا ورغب ، وبالله التوفيق .

قوله : (من دعاكم فأجيبوه) هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض : إجابة دعوة المسلم ، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين .

قوله : (ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه) ندبهم ﷺ على المكافأة على المعروف ، فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله ، كما دل عليه هذا الحديث ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللثام من الناس ، وبعض اللثام يكافئ على الإحسان بالإساءة ، كما يقع كثيراً من بعضهم .

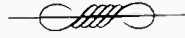
نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

بخلاف حال أهل التقوى والإيمان فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه ، كما قال تعالى : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ مَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ ﴿٢﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٣﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٤﴾ [المؤمنون : ٩٦-٩٨] وقال تعالى : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [نمل : ٣٤-٣٥] وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى السعادة .

قوله : (فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له) أرشدكم ﷺ إلى أن الدعاء في حق من لم

يجد المكافأة مكافأة للمعروف ، فيدعوه له على حسب معروفه .

قوله : (حتى تُروا - بضم التاء : تظنوا - أنكم قد كافأتموه) ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى تعلموا . ويؤيده ما في سنن أبي داود من حديث ابن عمر : «حتى تعلموا» فتعين الثاني للتصريح به . وفيه : «ومن سألكم بالله فأجيبوه» أي : إلى ما سأل . فيكون بمعنى : أعطوه ، وعند أبي داود في رواية أبي نهيك عن ابن عباس : «من سألكم بوجه الله فأعطوه» ^(١) وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث : «ومن سألكم بالله» كما في حديث ابن عمر .



(١) أخرجه أبو داود، كتاب : الأدب، باب : في الرجل يستعيز من الرجل ، حديث (٥١٠٨) ، وهو حسن صحيح ، وانظر صحيح الجامع (٦٠٢٠) ، الصحيحة (٢٥٣) .